الظواهر الصوتية في لهجة «ينبع» وأصولها اللغوية

مجلة العلوم الشرعية و اللغة العربية
Journal of Shari'ah Sciences and The Arabic Language

إعداد

د. خالد محمد صابر*، د. أحمد حمودة موسى**

* أستاذ مساعد، بقسم اللغة العربية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية،
جامعة طيبة
dr.kh.sa@hotmail.com

** أستاذ مساعد، بقسم اللغة العربية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية،
جامعة طيبة
ahmosa1983@hotmail.com

الظواهر الصوتية في لهجة «ينبع» وأصولها اللغوية

المستخلص: تتناول هذه الدراسة لهجة منطقة ينبع وما فيها من التصرّفات الصوتية التي تشكل معالم ذات خصوصية داخل المحيط اللهجي المحلي الواسع، وتحاول أن تقدم تحليلا تاريخيا لهذه الظواهر الصوتية اللهجية المائزة، من أجل الوقوف علىٰ جانب مهم من جوانب الدرس اللغوي التاريخي، نستجلي فيه صورة من صور حركة اللغة وتطوّرها الاستعمالي ونؤرخ لحقبة زمانية ومكانية من تاريخها الممتدّ.

وفي سبيل تحقيق هذه الغاية العلمية تُسلّط الدراسة الضوءَ علىٰ أهم الظواهر الصوتية المثيرة للاهتمام العلمي في هذه اللهجة، وقد شملت المعالجة الظواهر اللهجية الخاصة الآتية: اطّراد تفخيم الألف، وإبدال السين صادا، وإبدال الذال دالا، وإبدال هاء الضمير واوا، وإبدال القاف غينًا والغين قافًا، وإبدال الثاء تاء، وإبدال التضعيف حرفا، بالإضافة إلىٰ عدد من الإبدالات المتفرقة.

وانتهت الدراسة إلىٰ جملة من النتائج من أهمها: أن التصرّف اللهجي لا يتبع قاعدة «طلب الأخفّ» دائما، بل ربما نشأ عنه إعناتٌ وتثقيل – كطرد تفخيم الألف وكقلب السين صادا –، وهذا يدلّ علىٰ أنّ تكوّن اللهجات مرتبط بعوامل كثيرة مركبة ومعقدة منها اللغوي وغير اللغوي.

الكلمات المفتاحية: اللغة، الظواهر، الأصوات، اللهجة، ينبع، الإبدال.

***

Acoustic phenomena for (Yanbu) dialect and its linguistic origin

Abstract: This study deals with the acoustic behaviors of the regional dialect spoken in Yanbu which constitute special markers in the wide local dialect range. The study also tries to provide historical analysis for the acoustic phenomena of this dialect in order to comprehend its linguistic development and evolution throughout history. tbc

In order to achieve this scientific purpose, the study highlights the most scientifically important acoustic phenomena in this dialect. These include the following: emphasis of the (a) sound, phonetic substitution of (s) to (s*), (ð) to (d), (h) to (w), (q) to (ɣ), (ɣ) to (q) and (θ) to (t), in addition to various other substitutions.

In conclusion, the most important findings of the study are as follows; dialectal rules do not necessarily follow the 'easier is better' principle, and may include difficult pronunciations such as the emphasis on the (a) sound, as well as the phonetic substitution of (s) to (s*). This is evidence that the formation of dialects is not solely reliant on the linguistic factor, and is influenced by many other complex factors.

Key words: language, phenomena, acoustic, dialect, Yanbu, substitution.

❊ ❊ ❊

مقدمة

تتناول هذه الدراسة لهجة منطقة ينبع، وما فيها من التصرّفات الصوتية التي تشكل معالم ذات خصوصية داخل المحيط اللهجي المحلي الواسع، وتحاول أن تقدم تحليلا تاريخيا لهذه الظواهر الصوتية اللهجية المائزة.

ودراسة اللهجات العربية الحديثة حلقة مهمة من حلقات الدرس اللغوي التاريخي، نستجلي فيها جانبًا من حركة اللغة وتطوّرها الاستعمالي، ونؤرخ لحقبة زمانية ومكانية من تاريخها الممتدّ.

ودراسة اللهجات باب مهم – كذلك – لفقه اللغة، والوقوف علىٰ أصولها، وفهم تصرّفاتها وخصائصها علىٰ كافة المستويات اللغوية، ومحاولة تصوّر أطوارها الأولىٰ وروابطها المرحلية، والمتفق والمختلف بين متحدِّثيها، وتأثير العوامل الحضارية المتنوعة عليها.

أسباب اختيار الموضوع، والدراسات السابقة له:

يأتي اختيار لهجة منطقة «ينبع» محلا للدراسة استجابة للعوامل الآتية:

أولاً: وقوعها في نطاق منطقة الحجاز، وهي موطن عربيّة القرآن، وبها تسكن القبائل الحجازية العتيقة ذات الحضور الواضح في السجل اللغوي العربي، ومنها قبيلة (جهينة) التي تشكِّل المكوّن الرئيس لسكان المنطقة.

ثانيـاً: موقعهـا علـىٰ سـاحل البحـر الأحمـر قبالـة الحـدود المـصرية السودانية، وعلىٰ طريق سفرٍ وتجارة تـاريخي قـديم، كمـا كانـت طريقـا لرحلـة الحج المصري الكبيرة[1]، وهذا كله أتاح لها زخما ثقافيا وتنوعـا لغويـا يـشبه مـا نعرفه عن أسواق العرب الحجازية القديمة.

ثالثـاً: خصوصيتها الديموغرافية؛ فعلىٰ الرغم من كون غالبية السكان من قبيلة جهينة تضم المنطقة كثيرا «من الأُسر العربية التي انتقلت من صـعيد مـصر واستوطنت هذه المدينة»[2]، ومثل هذا التنوّع أكسب لهجـة المنطقـة خـصوصية منتزَعة من اختلاط أهل القبائل الأصـلية بغيـرهم مـن الوافـدين الـذين اسـتوطن كثير منهم المنطقة.

رابعـاً: رغبـة البـاحثَيْن والجامعـة في تقـديم عمـل أكـاديمي يمثـل خدمـةً للمجتمع المحلّي، وإضافةً إلىٰ موروثه الثقـافي الخـاص، وجـسرا يقطـع العزلـة الكبيرة بين مؤسسات التعليم ومحيطها الاجتماعي والجغرافي.

خامسـاً: يضاف إلىٰ مـا سـبق عـدمُ وجـود دراسـة سـابقة تتنـاول موضـوع البحث في ما أتيح للباحثين الاطلاع عليه.

---

(١) بلاد ينبع، لحمد الجاسر، ص (٨ و١٠).

(٢) بلاد ينبع، لحمد الجاسر، ص (١٢٨).

خطة الدراسة:

سنتناول في هذا البحث بالدراسة والتحليل ما لوحظ من الظواهر الصوتية في لهجة منطقة «ينبع» من خلال المباحث التفصيلية الآتية:

أولاً: طرد تفخيم الألف.

ثانيًا: إبدال السين صادا.

ثالثًا: إبدال الذال دالا.

رابعًا: إبدال هاء الضمير واوا.

خامسًا: إبدال القاف غينًا والغين قافًا.

سادسًا: إبدال الثاء تاء.

سابعًا: إبدال أحد المثلين المدغمين حرفًا مختلفًا.

ثامنًا: إبدالات متفرقة.

وقد آثرت الدراسة هذه الطريقة التفصيلية لعرض الظواهر الملاحَظة لأن طبيعة الدراسة تمنع وجود أطر تقسيمية عامة للظواهر، ذلك أنّ العمل يقوم علىٰ التتبّع الحر من دون ارتباط بتصنيفات صوتية أو صيغية معينة.

منهج التناول:

ستتبع هذه الدراسة منهجا وصفيا تأصيليًا؛ فهي تبدأ بوصف الظاهرة من خلال الملاحظة المباشرة ومن خلال عيّنات متنوعة من شرائح المتحدثين، ثم تقوم بتأصيل الظواهر الصوتية اللهجية بصورة علمية اعتمادا علىٰ ثلاثةِ روافد

منهجية[1]؛ هي: الرواياتُ اللغوية في المعاجم وكتب اللغة المتضمنةُ لظواهر اللهجات العربية القديمة، ووجوه القراءات القرآنية، والنظائر في اللهجات العربية الحديثة، وقد أضفنا إليها النظرَ في بعض الأصول السامية القديمة لبعض الظواهر، علىٰ ما يأتي.

وإنّا لنرجو – بعدُ – أنْ نُصِيب توفيقا في معالجة موضوع الدراسة، وإلا فحسبنا توجُها صادقا ورغبةً كاملة في استجلاء الحقيقة العلمية.

وعلىٰ الله قصد السبيل.

❊ ❊ ❊

(١) انظر عن هذه الأسس العلمية لدراسة اللهجات: في اللهجات العربية لإبراهيم أنيس، ص (٩) وما بعدها.

أولاً:
طرد تفخيم الألف

تتوزع صفتا التفخيم والترقيق علىٰ مختلف الأصوات «إلا الألف المدّيّة فإنها تابعة لما قبلها فإذا وقعت بعد الحرف المفخم تفخّم وإذا وقعت بعد الحرف المرقق ترقق، لأنّ الألف ليس فيه عمل عضوٍ أصلا حتىٰ يوصف بالتفخيم أو الترقيق»[1]، أو كما قال ابن الجزري: «لا يعتمد اللسان عند النطق بها إلىٰ موضع من الفم»[2].

والتفخيم أثر سمعي ينشأ بسبب حركات عضوية للسان باتجاه الطبق (الحنك اللين)، هذه الحركات تغيّر من شكل حجرات الرنين في الفم فيخرج الصوت مصبوغا بهذه القيمة الصوتية[3].

وقد لُوحظ في لهجة ينبع اطّراد تفخيم صائت الفتحة الطويلة (ألف المد)، بحيث لا يخضع لنظام الفصحىٰ في الاقتصار علىٰ ذلك بعد الصوامت

(١) نهاية القول المفيد، للشيخ محمد مكّي نصر الجريسي، ص (١٢٨)، وهداية القاري، لعبد الفتاح المرصفي (١/ ١١٨).

(٢) التمهيد في علم التجويد، ص (٩٢).

(٣) انظر: مناهج البحث في اللغة، لتمام حسان، ص (٩٠).

المفخمة فحسب تبعا للقاعدة التوزيعية المتقدمة آنفًا.

وبإجراء تجربة ميدانية أُعِدّت قائمة من المفردات متّحدة الصيغة (اختيرت صيغة «فاعل» عشوائيا)، شملت ثمانيًا وعشرين كلمة رُووِح في فائها (لأنها الحرف السابق للألف والمؤثِّر على تفخيمه وترقيقه في الفصحى كما تقدّم) بين كافّة حروف المعجم، ثم طُرِحت القائمة على مجموعة من طلاب قسم اللغة العربية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بينبع، وكانت النتيجةُ معضِّدة للملاحظات الأوّلية للبحث؛ فقد سُجِّل اطرادٌ تام لتفخيم صائت الفتحة الطويلة (ألف المد)، بحيث يتحوّل من كونه صائتا متسعا أماميا قريبَ الشبه بالمقياس الذي يرمز إليه بالرمز (a)[1] إلى كونه صائتا خلفيا نصف متسع قريب الشبه بالمقياس الذي يرمز إليه بالرمز (ɐ)[2].

ولعل وجود هذه الظاهرة يرجع إلى ميل أهل الحجاز إلى التفخيم عموما، والبعد عن الإمالة (الاقتراب بالفتحة إلى الكسرة) والترقيق (بالإبقاء على الفتحة متسعةً)، قال الزَبيدي عن التفخيم: «وَهُوَ لأَهْلِ الحِجازِ، كمَا أَنَّ الإِمالَةَ لِبَنِي تَمِيمٍ»[3]، وقد اشتُهر عن الحجازيين تفخيم الألف بخاصة حتى لقد جعل سيبويه من فروع حروف الهجاء «ألف التفخيم، يعنى بلغة أهل

(١) انظر الأصوات اللغوية، لإبراهيم أنيس، ص (٤٣).

(٢) http://www.internationalphoneticalphabet.org/ipa-sounds/ipa-chart-with-sounds

(٣) تاج العروس: فخم، وانظر: أساس البلاغة، للزمخشري: فخم.

الحجاز، في قولهم: الصلاة والزكاة والحياة»[1]، وقال إنّ هذه الألف «يؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار»[2].

وهذا الوجه من التفخيم له حضور في القراءات القرآنية؛ ففي بعض القراءات تُفخَّم الألف (الفتحة الطويلة) بعد غير الصوامت المفخمة، كاللام المسبوقة بمقطع فيه صامت مفخم، فقد قرأها ورش بالتفخيم دائما[3] مثل (الصلاة، الطلاق، ظلّام، يَصْلَىٰ، مفصّلا،...)، بل لقد رُوِي «عن أبي السمال: أنه كان يقرأ: «ما بقِي مِن الرِّبُو» مضمومة الباء ساكنة الواو»، وعلّل ابن جني ذلك بأنه «فخَّم الألفَ انتحاء بها إلىٰ الواو التي الألفُ بَدَلٌ منها، علىٰ حد قولهم: الصلاة والزكاة وكمشكاة، وكقولهم: عالم وسالم وسالف وآنف، وكأنه بيَّن التفخيم فقوي الصوت فكان الواو أو كاد»[4]. وهذا النصّ - فوق إشارته إلىٰ شيوع تفخيم الألف في صيغ متنوّعة - يطرح تفسيرا فيزيائيا لافتا لدينامية حدوث التفخيم وما قد ينشأ عن المبالغة في تحقيقه.

ولا يقتصر الحضور التاريخي لظاهرة طرد تفخيم الألف علىٰ ذلك؛ فهذه الظاهرة لها وجود واضح في بعض الساميّات كاللغة العبرية التي تميل إلىٰ

(١) الكتاب (٤/ ٤٣٢).

(٢) السابق، الصفحة نفسها.

(٣) انظر: التمهيد، لابن الجزري، ص (٩٣)، وإتحاف فضلاء البشر (١/ ١٣٣).

(٤) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (١/ ١٤٢).

تفخيم الألف بعد غير الصوامت المطبقة، كما في نحو: שָׁלוֹם (سلام) כּוֹתֵב (كاتب) כּוֹס (كاس= كأس) לָשׁוֹן (لسان) חֲמוֹר (حمار) אָתוֹן (أتان)، حيث تقابل الألفَ العربية الصريحة ضمةٌ عبرية طويلة ممالة חוֹלָם מָלֵא.

ولغلبة ميل العبرية إلىٰ طرد تفخيم الألف نجد أنّ علامة جمع المؤنث السالم فيها (التي تقابل الألف والتاء في العربية) هي וֹת باستخدام الضمة الطويلة الممالة الآنفة الذكر (וֹ) بدلا من الألف، فيقولون: בָּנוֹת (بنات) פָּרוֹת (أبقار) מוֹרוֹת (مدرِّسات) גְּבָרוֹת (سيّدات)... وهكذا

وأيضا في بعض اللهجات العربية المعاصرة يشيع طرد تفخيم الألف، كما نجد في لهجة منطقة «الواحات البحرية» بصحراء مصر الغربية[1] حيث يميل أهلها إلىٰ تفخيم الألف ولو كان حقّه التفخيم، فيفخّمونه في مختلف المواقع والصيغ الصرفية، نحو: عاد ومات ويسافر ويشارك وكامل وعابد وبارد ووالي ودائم وشباب وعيال وأمام وعيادة وعمليات وخرجات وقبائل وملاحق....

* * *

(١) المعتمد هنا هو الملاحظة المباشرة من الباحث.

ثانياً:
إبدال السين صادا

السين والصاد حرفان أسليّان يخرجان بالتقاء طرف اللسان بالثنايا العليا أو السفلىٰ بحيث يكون المجرىٰ ضيقًا جدا فيخرج الهواء محدثا الصفير العالي[1]، ولا يميز الصاد عن السين إلا ارتفاع مؤخر اللسان نحو الطبق، قال ابن جني «لولا لإطباق في الصاد لكانت سينا»[2].

ويكثر في لهجة ينبع إبدال السين صادا، ويكون هذا مع السين غير المكسورة. ومن أمثلة هذا قولهم: صيّارة (سيّارة) – صوَرْني (=«سَوَرني» في عاميّات أخرىٰ، قلتُ: ولعلها: ساوَرَني، أي واثبني وأفزعني) – متصربع (متسرّع)، غير أنّ الأكثر في هذا الوجه من الإبدال أن يكون فيما وقع فيه بعد السين في كلمتها حرفُ استعلاء (وإن لم يكن تاليا لها) نحو: صاطع (ساطع) – صطر (سطر) – بصط (بسط) – صطح (سطح) – صخط (سخط) – صلخ (سلخ) – صاخن (ساخن) – يصخر (يسخر)...

وقد يقع هذا الإبدال أحيانا مع عدم تلُوِّ حرف استعلاء بل بمجرد وجود

(١) انظر: الأصوات اللغوية، لإبراهيم أنيس، ص (٦٨).

(٢) سر صناعة الإعراب (١/ ٢٥٤).

صوت له صفات قوية تناسب سمت الاستعلاء كما في نحو: صكّر (سكّر) – مصنكر (مسكّر: مغلق)، حيث تقع الكاف الانفجارية بعد السين، والكافُ مقاربة جدا للقاف في الصفات والمخرج[1].

وقد عقد سيبويه بابا لـ«ما تقلب فيه السين صادا في بعض اللغات»، وأوضح أنّ السين تقلب إذا كان بعدها قافٌ لأنّ القاف «معتمدها علىٰ الحنك الأعلىٰ، فلما كانت كذلك أبدلوا من موضع السين أشبه الحروف بالقاف، ليكون العمل من وجهٍ واحد، وهي الصاد، لأن الصاد تصعد إلىٰ الحنك الأعلىٰ للإطباق»[2] أي أنّ هذا الإبدال سببه تخفيف العمل علىٰ الجهاز النطقي للمتكلم، وقد ألحق سيبويه بالقاف من الحروف المستعلية الخاءَ والغين لأنهما «بمنزلة القاف»[3] والطاءَ «لأنها في التصعّد مثل القاف، وهي أولىٰ بذا من القاف، لقرب المخرجين والإطباق»[4]، قال ابن مجاهد معللا الإبدال مع الطاء «ليقربوها من الطَّاء لِأَن الطَّاء لَهَا تصعد فِي الحنك وَهِي مطبقة وَالسِّين مهموسة وَهِي من حُرُوف الصفير، فثقل عَلَيْهِم أَن يعْمل اللِّسَان منخفضا ومستعليا فِي

(١) انظر الكلام عن اشتباك مخرجي الكاف والقاف والنقاش حوله في: علم الأصوات، د. كمال بشر، ص (٢٧٣) وما بعدها.

(٢) الكتاب (٤/ ٤٨٠).

(٣) السابق، الصفحة نفسها.

(٤) السابق، الصفحة نفسها.

كلمة وَاحِدَة، فقلبوا السِّين إِلَىٰ الصَّاد لِأَنَّهَا مؤاخية للطاء فِي الإطباق ومناسِبة للسين فِي الصفير، ليعْمَل اللِّسَان فيهمَا متصعدا فِي الحنك عملا وَاحِدًا»[1].

ويوجز المبرد هذه النكتة بأنّ السين إنما تُقلب صادا «للتقريب ممّا بعْدهَا فإِذا لقيها حرف من الحروف المستعلية قلبت مَعَه ليَكُون تناولهما من وَجه واحد»[2]، وهو بمعنىٰ كلام سيبويه المتقدِّم.

وقد كان قلبُ السين صادا استعمالا لهجيا قائما عند قومٍ من بني تميم؛ قال سيبويه «وإنما يقولها من العرب بنو العنبر»[3] وقال الفرّاء «العربُ جميعًا تقولُ: سَاق وسُوق وسَوِيق، بالسينِ، إلا نَفَرًا من بني العَنْبَرِ من تَمِيمٍ؛ فإنهم يقولون: صَاقَ وصَوِيق وذهبتُ الصُّوقَ، إذا دَخَلَتِ القافُ معَ السينِ صيَّروا السينَ صادًا»[4]. ونقل ابن منظور عن الفراء أنّ قريشا كانت قديما ربما تؤْثِر الصادَ علىٰ السين «فمن ذلك قولهم الصّراط والسّراط، قال: وهي بالصاد لغة قريْشٍ الأوّلين التي جاء بها الكتابُ، قال: وعامّةُ العرب تجعلها سِينًا»[5]، وجاء في اللسان أيضا «قال محمد بن المسْتنير قُطْرُب إِنَّ قومًا من بني تميم يقال لهم

(١) السبعة، لابن مجاهد، ص (١٠٧).

(٢) المقتضب (١/ ٢٢٥).

(٣) الكتاب (٤/ ٤٨٠).

(٤) كتابٌ فيه لغات القرآن، ص (١٤٢)، وانظر: لسان العرب: سرط.

(٥) لسان العرب: سرط.

بَلْعَنْبَر يقلبون السين صاداً عند أَربعة أَحرف؛ عند الطاء والقاف والغين والخاء إِذا كُنَّ بعد السين، ولا يُبالون أَثانيةً كُنَّ أَم ثالثةً أَم رابعة بعد أَن يَكُنَّ بعدها»[1].

ويبدو أنّ جانبا من هذا الاستعمال اللهجي شاع في العربية حتىٰ صرنا نجد في المعاجم تبادلا مستقرا بين السين والصاد في كثير من الكلمات؛ مثل: القسطاس والقصطاس (الميزان)، والسُحرة والصُحرة (لون)، والسَّعوط والصَّعوط (دواء)، والسَّعتر والصّعتر (نبات)، والمسطار والمصطار (الخمر الحامض)، ومن الأفعال: سفُق وصفُق (كشُف)، وسلغت الدابة وصلَغت (تمّت أسنانُها)، وسخب وصخب (صاحَ)، وسغسغ وصغصغ رأسَه بالدهن (روّاه وشرّبه)...[2]، حتىٰ لقد قال ابن منظور «والصاد والسين يجوز في كل كلمةٍ فيها خاء»[3].

وهذا الاستعمال له حضور قويّ أيضًا في القراءات القرآنية؛ فقد قُرئ قوله تعالىٰ: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ (الفاتحة:٦) بالسين وبالصاد وبإشمام الصاد زايا[4] وقُرئ قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ ﴾ (البقرة:٢٤٥) بالسين

(١) لسان العرب: صدغ.

(٢) انظر: الإبدال، للزجاجي، ص (٦٠) وما بعدها، والإبدال، لأبي الطيب اللغوي (٢/ ١٧٢) وما بعدها.

(٣) اللسان: سخب.

(٤) انظر: السبعة، لابن مجاهد، ص (١٠٥)، والتيسير، للداني، ص (١٩)، والحجة،=

وبالصاد وبالوجهين[1]، وكذلك قرئ قوله تعالىٰ: ﴿ وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۡطَةً ﴾ (الأعراف:٦٩)[2]، وقرئ قوله تعالىٰ: ﴿ أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ ﴾ (الطور:٣٧)، بالصاد وبالسين وبالوجهين وبإشمام الصاد زايا[3]، وكذلك قرئ قوله تعالىٰ: ﴿ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ﴾ (الغاشية:٢٢)[4].

❊ ❊ ❊

=لابن خالويه، ص (٦٢).

(١) انظر: السبعة، لابن مجاهد، ص (١٨٥ - ١٨٦)، والتيسير، للداني، ص (٨١)، والنشر، لابن الجزري (٢/ ٢٢٨) وما بعدها، وإتحاف فضلاء البشر، ص (٢٠٦).

(٢) انظر: السبعة، لابن مجاهد، ص (١٨٥ - ١٨٦)، والنشر (٢/ ٢٢٨) وما بعدها، وإتحاف فضلاء البشر، ص (٢٨٥).

(٣) انظر: السبعة، لابن مجاهد، ص (٦١٣)، والتيسير، للداني، ص (٢٠٤)، والحجة، لابن خالويه، ص (٣٣٥)، والنشر (٢/ ٣٧٨).

(٤) انظر: السبعة، لابن مجاهد، ص (٦٨٢)، والتيسير، للداني، ص (٢٢٢)، والنشر (٢/ ٣٧٨)، وإتحاف فضلاء البشر، ص (٥١٩).

ثالثاً:
إبدال الذال دالا

الذال والدال حرفان متقاربان؛ فكلاهما مجهور غير أن الذال أسناني احتكاكي، أما الدال فحرفٌ أسناني لثوي انفجاري.

ومن الظواهر الصوتية الملاحظة في لهجة ينبع شيوعُ إبدال الذال دالا، بالمخالفة لنسق الفصحىٰ وللنسق الغالب علىٰ اللهجات السعودية، ولا يختص حصول هذا الإبدال بموقع معيّن من الكلمة، فمن وقوعه في أول الكلمة قولهم: درة (ذرة) – دهب (ذهب) – دَحين (ذَحين= هذا الحين) – دولا (ذولا= هؤلاء) – ديب/ دياب (ذيب/ ذياب) – دقن (ذقن) – ديل (ذيل) – دراع (ذراع) – دَكَر (ذكر) – دبّان (ذبّان).

ومن إبدال الذال دالا في وسط الكلمة قولهم: هادا (هذا) – هادي (هذه) – أدبح (أذبح) – أهدر (أهذر «من الهَذَر») – يدوب (يذوب) – يدوق (يذوق).

ومن إبدالها في آخر الكلمة قولهم: أخد (أخذ) – فخد (فخذ) – قنفد (قنفذ).

والتبادل بين الدال والذال له أمثلة كثيرة في المعجم العربي؛ من ذلك قول العرب: ما ذاق عدوفا/ عذوفا: أي ما ذاق شيئا، وادرعفّت الخيل/ اذرعفّت: أسرعت، ورجلٌ دحداح/ ذحذاح: قصير، وذَبَر الكتاب/

دَبَره: كتبه، والقنفد/ القنفذ: الحيوان المعروف، ودَهلٌ من الليل/ ذهل: قطعة، ودَفّ عليه/ ذفّ: أجهز عليه، والمجداف/ المجذاف: آلة السفينة المعروفة، ودحج الرجل/ ذحجه: سحبه، وجدل الغلام/ جذل: ترعرع...[1]

وإبدال الذال دالا يطّرد جوازه في بعض الأبنية الصرفية، قال ابن عصفور «وأمَّا الدال فأُبدلت من التاء والذال»[2]، وذلك مثل: ادّكر وادّخر؛ حيث يقول الصرفيون إنّ فاء الكلمة الأصلية (الذال) قد قلبت دالا وأدغمت في الدال المنقلبة عن تاء الافتعال، وكان الأصل: اذتكر/ اذتخر، ثم صارت: اذدكر/ اذدخر، ثم تحوّلت أخيرا بإبدال الذال دالا إلىٰ: ادّكر وادّخر. ويسمّىٰ هذا الوجه من الإبدال إبدال الإدغام[3].

ومما وقع من هذا الوجه في القراءات القرآنية إبدال الذال دالا مع إدغامها في الدال التالية في قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ ﴾ (الكهف:٣٩)، وقوله جل شأنه: ﴿ إِذْ دَخَلُوا ﴾ (الذاريات:٢٥) في قراءة أبي عمرو وابن عامر وهشام وحمزة والكسائي وخلف وخلاد وابن ذكوان وغيرهم[4].

---

(١) انظر كتاب الإبدال، لأبي الطيب اللغوي (١/ ٣٥٣) وما بعدها.

(٢) الممتع الكبير في التصريف، ص (٢٣٦).

(٣) سر صناعة الإعراب، لابن جني (١/ ١٩٩)، وانظر: الممتع الكبير في التصريف، ص (٢٣٧).

(٤) انظر: السبعة، لابن مجاهد، ص (١١٩ و١٢٤)، وإتحاف فضلاء البشر، ص (٥١ و٧١٢)،=

وبهذا الوجه قرئت دال «صاد» من قوله تعالىٰ: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ﴾ (مريم:١-٢) فالحرميان وأبو جعفر ويعقوب وعاصِم يُظهرون دَال الهجاء عند الذَّال، والباقُون يقرَءُونها ذالا مدغمة في الذال التي بعدها[١]، وكذلك الدال في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا﴾ (الأعراف:١٧٩) قُرئت بالوجهين؛ دالا وذالا مدغمة[٢].

وإبدال الذال دالا في لهجة ينبع ليس بدعا، فهو - علىٰ الرغم من قلّته في اللهجات المحلّية - كثيرٌ في الخارطة العامة للّهجات العربية المعاصرة، ودونك مثلا اللهجة المصرية القاهرية - إحدىٰ أشهر اللهجات العربية وأكثرها إلفًا وحضورا إعلاميا- يشيع فيها هذا النوع من الإبدال شيوعا يختفي معه صوت «الذال» الفصيحة بصورة تامة لصالح صوتي الدال - غالبا- والزاي - أحيانا - «وقد اطّرد هذا اطّرادا يدعو إلىٰ الدهشة»[٣].

***

=وغيث النفع، ص (٣٧٣ و٥٦٥).

(١) انظر: السبعة، لابن مجاهد، ص (٤٠٦)، والتيسير، للداني، ص (١٤٨)، وتحبير التيسير، لابن الجوزي، ص (٤٥٢)، والإتحاف، ص (٥٢٧).

(٢) انظر: السبعة، لابن مجاهد، ص (١١٩)، وتحبير التيسير، ص (٢٣١)، والإتحاف، ص (٥١)، وغيث النفع، ص (٢٥٩).

(٣) في اللهجات العربية، لإبراهيم أنيس، ص (١٩٥).

رابعاً:
إبدال هاء الضمير واوا

يشيع في لهجة ينبع – وبخاصة بين سكان «ينبع البحر»؛ قلْب المنطقة – إبدال هاء الضمير واوا فيُقال: قابلتُو (قابلتُه) – فينُو (فينُه= أين هو؟) – قلمُو (قلمُه) – أحترمُو (أحترمُه) – كتبُو (كتبَهُ) – قم لُو (قم لَهُ) – ناولُو (ناولْهُ) – اضرِبو (اضربْهُ) – جلدو (جلدهُ) – في غيابو (في غيابِه) – عند سيارتُو (عند سيارتِه)...

وهذا اللون من الإبدال شائع جدا في اللهجات العربية الحديثة – علىٰ الرغم من قلّته في اللهجات السعودية – ومألوف السماع إعلاميا، وهو من السمات الصوتية البارزة في اللهجة القاهرية المصرية واللهجات الشامية واليمنية والمغربية، حتىٰ إنّه طغىٰ علىٰ أيّ صورة لهجية أخرىٰ لنطق هاء الضمير بلْهَ الصورة الأصلية الفصيحة.

ومما تنبغي الإشارة إليه أنّ هذا الإبدال ليس تصرُّفا لهجيا وليدَ اللهجات الحديثة، بل لقد ظهر في اللهجات العربية من وقت متقدّم، ونراه ظاهرا بكثرة في بعض الخرجات العامّية لموشّحات القرون الوسيطة؛ فمما جاء منه في الموشحات الأندلسية قول الأعمىٰ التطيلي (ت٥٢٥)[1]:

(١) جيش التوشيح، لابن الخطيب، ص (٤٥).

يـــا ربّ مـــا أصـــبرني * نـرىٰ حبيـبْ قلبـي ونعـشقُو
لـــو كـــان يكـــون ســـنّة * فـــيمن لقِـــي خِلَّـــو يِعَنِّقُـــو

ومن موشحات العصر الأيوبي قول ابن سناء الملك (ت٦٠٦)[1]:

مـــــضىٰ حبيبـــــي * وأيـــــن نـــــصِيبُو
مـــن يحفـــظ الـــصحبة * يمـــــضي يجيبُـــــو

ومـن موشـحات العـصر المملـوكي قـول صـلاح الـدين الـصفدي (ت٧٦٤)[2]:

ويـــلاه علـــىٰ مـــن قبَّلُـــو * أو كـــان لهـــا منّـــو نـــصيبْ

ويثير النظر هاهنا أنّ محاولةَ عزو إبدال الهاء واوا – برغم قِدم حضوره اللهجي نسبيا – إلىٰ العربية الفصيحة لا تستقيم؛ فلم يكن هذا النوعُ من الإبدال سمتا للعربية الأولىٰ ولهجاتها، ولم أعثر مما يدخل تحته علىٰ سوىٰ ما أورده أبو الطيب اللغوي من أنّه كان «يقال: رجل أجلهُ وأجلىٰ، للذي ينحسر الشَّعرُ عن مُقدَّم رأسه، والجميعُ جُلوٌ وجُلْهٌ. والوَجِيلُ والهَجِيلُ حفرةٌ يُستنقَع فيها الماء»[3].

لكنّ وجها من التفسير ارتأيتُه قد يكون مَرضِيّا؛ هو أن يكون أصل هذا

(١) ديوان الموشحات الفاطمية والأيوبية، ص (١٣٩).
(٢) ديوان الموشحات المملوكية، ص (٣١٤).
(٣) الإبدال، لأبي الطيب اللغوي (٢/ ٤٦٢).

الاستعمال اللهجي تلك اللغة الفصيحة التي أشار إليها بعض العلماء بأنّها كانت تُشبع هاء الضمير حتىٰ تتولّد عنها واو كاملة؛ فقد ذكر الكسائي أنّ العرب تقول: فيهُ وفيهو، ورُوِيَ عن أَبي الهيثم أنّ في هاء الضمير لغاتٍ منها أنه يقال: مررت بِهُ وبِهُو وكذلك يَضْرِبُهُ ويَضْرِبُهُو[1]. وقد يجوز لنا أن نفترض أنّ الأصل كان انفراد هاء الضمير، ثم ظهرت الواو متصلة بها في بعض الاستعمالات اللهجية، ثم تُخُفِّفَ لاحقا من الهاء وبقيت الواو فقط مع ضمِّ ما قبلها ممثِّلةً لضمير المفرد الغائب – في اللهجات العربية الحديثة – علىٰ نحو ما مثّلنا من لهجة ينبع في أول الكلام، وفق التسلسل التطوّري الآتي:

يضربُه ← يضربُهُو ← يضربُو

كتب لَه ← كتب لَهُو ← كتب لُو

مررتُ بِه ← مررتُ بِهُو ← مررت بُو

وثمةَ وجهٌ آخرُ من التفسير أقلُّ عملا؛ هو أن يكون إبدال هاء الضمير واوا تطوّرا طبيعيا طفيفا لوجهٍ من نقل الحركة ورد به الشعر القديم، مِن مِثل قول الراجز[2]:

(١) اللسان: مادة ها.

(٢) انظر: ديوان الأدب، للفارابي (٣/ ٢٥٢)، والصحاح، للجوهري: وقص، واللسان والتاج: وقص، وضرائر الشعر، لابن عصفور، ص (١٨٧)، وشرح التصريح علىٰ التوضيح، للشيخ خالد الأزهري (٢/ ٦٢٨).

مـا زال شـيبان شـديدًا هَبَـصُه ❊ حتـىٰ أتـاه قِرنُـه فوَقَـصُه

قال الفارابي «أَراد فوَقَصَهُ فلما وقَف علىٰ الهاء نقل حركتها وهي الضمة إِلىٰ الصاد قبلها فحرّكها بحركتها»[1]. ومثلُه ما نُسب إلىٰ أعشىٰ همدان[2]:

مَـنْ دعـا لـي غزَيِّلـي ❊ أربـحَ اللهْ تجارتُـهْ

ويبدو أنّ نقل هذه الحركةِ قد أصاب شيوعا استعماليا؛ يقول خالد الأزهري «تقول في ضربَهُ: ضربُهْ في الشعر، وقد استعملته العامةُ في النثر»[3].

واطّرادُ تحرُّك ما قبلَ هاءِ الضميرِ بالضمّ منطقيٌّ أنْ ينشأَ عنهُ اختفاءٌ للهاء واستطالةٌ للضمة المنتقلة حتىٰ تصير واوا محتلّةً موقعَ الضمير، وهنا يصبح إبدالُ هاء الضمير واوا – علىٰ افتراض وقوع نقل لضمة الضمير – تطورا صوتيا سلسا مقبولَ التفسير، وفْقَ المتوالية الآتية:

ضربَهُ ← ضربُهْ ← ضربُو

كتب لَهُ ← كتب لُهْ ← كتب لُو

عند سيّارتِه ← عند سيّارتُهْ ← عند سيّارتُو

❊ ❊ ❊

(١) ديوان الأدب (٣/ ٢٥٢)، وانظر: الصحاح، للجوهري: وقص.

(٢) انظر: ضرائر الشعر، لابن عصفور، ص (١٨٨).

(٣) شرح التصريح علىٰ التوضيح (٢/ ٦٢٨).

خامساً:
إبدال القاف غينًا والغين قافًا

القاف صوت لهوي انفجاري مهموس، يتصل في نطقه أدنىٰ الحلق (بما فيه اللهاة) بأقصىٰ اللسان[1].

والغين صوت احتكاكي مجهور يخرج من الطبق أو أقصىٰ الحنك، أو ما أطلق عليه سيبويه أدنىٰ الحلق[2]. فنجد التقارب بينهما في المخرج كبيرا.

ولأجل هذا التقارب الواضح بين الصوتين وقع تبادلٌ بينهما في المعجم العربي؛ فيقال: غمسه في الماء وقمسه، وصلغت الدابة وصلقت إذا أتمّت أسنانها، وقذم وغذم إذا أكثر عطاءَ المال، والقُلفة والغُلفة ما يقطعه الخاتنُ، ونشق ونشغ أي استَعَطَ سَعوطا، وتزيّقت المرأة وتزيّغت أي تجمّلت وتزيّنت، والوقب والوغْب هو الرجل الأحمق، والغمزُ والقمْز من الناس الرذلُ الذي لا خير فيه، وغلغل في الأرض وقلقل إذا ذهب[3].

---

(١) انظر: الأصوات العربية، لإبراهيم أنيس، ص (٧٢).

(٢) انظر: الأصوات العربية، لإبراهيم أنيس، ص (٧٢)، وانظر: الكتاب، لسيبويه (٤/ ٤٣٣).

(٣) انظر: الإبدال، لأبي الطيب اللغوي (٢/ ٣٢٨)، واللسان والتاج وغيرهما في موادّ المفردات المذكورة.

ومن الظواهر الصوتية الموجودة في لهجة ينبع إبدال القاف غينا والغين قافا، وينتشر هذا الإبدال بصورة خاصة بين أبناء قبيلة «الصبُوح» – والنسب إليها «صبحي» –، وهم مكوِّن كبير من المكوّنات الديمغرافية لينبع، وهم فرع من قبيلة «حرب» الكبرىٰ المنتشرة في محافظات منطقة المدينة المنورة وما حولها[1].

ومن الأمثلة التي جمعناها لإبدال القاف غينا: غدير (قدير) – غليل (قليل) – غديم (قديم) – غلب (قلب) – غايم (قايم) – غفاز (قفاز) – غَشّ (قشّ) – غَلَم (قلم) – غلغلة (قلقلة) – غرآن (قرآن) – عبد الغادر (عبد القادر) – غيلولة (قيلولة) – غمر (قمر) – الغوم (القوم) – الغرية (القرية).

وهذا النوع من الإبدال شائع أيضا في بعض لهجات السودان وجنوب العراق والخليج[2]، ويرجح د. إبراهيم أنيس أنّ هذا النطقَ – نُطقَ القاف مشوبةً بالغَين – أصدقُ تمثيلا للقاف العربية الفصيحة المجهورة من النطق الذي ينطق به قرّاء القرآن ونحوهم من مستعملي الفصحىٰ حيث ينطق هؤلاء القاف مهموسةً[3]، فمن خلال وصف القدماء للقاف بأنها شديدة مجهورة «نفترض أنّ القاف الأصلية كانت تشبه ذلك الصوت المجهور الذي نسمعه الآن من بعض

(١) انظر: نسب حرب، للشيخ عاتق البلادي، ص (٦٣).

(٢) انظر: المعجم العربي الجديد، لهادي العلوي، ص (٣٤).

(٣) انظر: الأصوات العربية، لإبراهيم أنيس، ص (٧٢).

القبائل السودانية ثم هُمس مع توالي الزمن فأدّىٰ إلىٰ ما نعهده في قراءاتنا»[1].

وإذا كان إبدال القاف غينًا بهذه المنزلة من السواغِ والمقبولية فإنّ عكسَه – إبدال الغين قافا – يكاد يكون تصرّفا لهجيا خالصا لا وجود له في العربية الفصيحة.

ولغرابة الظاهرة وندرتها نسجل لها هاهنا مما جمعنا من اللهجة محلّ الدراسة أمثلةً كثيرة: قراب (غُراب) – قُترة (غترة) – قيث (غَيث) – قنم (غنم) – قبي (غبي) – قازي (غازي) – قُبار (غبار) – قلط (غلط) – قالي (غالي) – قرفة (غرفة) – قربل (غربل) – قرق (غرق) – قرام (غرام) – قزوت (غزوت) – قروب (غروب) –قداء (غداء) – قناء (غناء) – قطس (غطس) – قصن (غصن) – قيم (غيم) – قيب (غيب) – قربة (غُربة) – قامدي (غامدي) – قُرفة (غُرفة) – قَلا (غَلا) – قانم (غانم) – تقيير (تغيير) – قيظ (غيظ).

وهذا الوجه من الإبدال نادرٌ في اللهجات العربية «نجده في بعض لهجات اليمن وجنوب العراق وعند قبائل الدليم في محافظة الأنبار العراقية»[2]، وقد عزا د. هادي العلوي وجودَ هذا الإبدال في لهجات عراقية إلىٰ تأثير الهجرات اليمنية[3].

(١) السابق، الصفحة نفسها.

(٢) المعجم العربي الجديد، ص (٣٤).

(٣) المعجم العربي الجديد، ص (٣٥).

وهذا التعليل الأخير يمكننا استنساخه في دراستنا هذه إذا صحّ أنّ قبيلةَ «حرب» – التي ينحدر عنها «الصبوح» أكثر من يظهر لديهم هذا الإبدال النادر – هي في الأصل قبيلة يمنية خولانية قحطانية تنسب إلىٰ حرب بن سعد بن سعد بن خولان، كانت منازلهم في صعدة في اليمن ثم نزحوا إلىٰ الحجاز إثر خلاف بينهم وبين أبناء عمّهم الربيعة بن سعد سنة ١٣١هـ.[١]

وينبغي أن ننبّه هاهنا إلىٰ أنّ لهجة هؤلاء يجتمع فيها الإبدالان جميعا؛ إبدال القاف غينا والغين قافا، وهذه الصورة المزدوجة لا تكاد تجدها في لهجة عربية حتىٰ إنّ صاحب «المعجم العربي الجديد» يُدِلُّ بأنّه وقف «علىٰ جماعةٍ من جنوب العراق يُبدلون القاف غينا والغين قافا فيقولون: غاسم في قاسم، وقير في غير»[٢].

❊ ❊ ❊

(١) انظر: نسب حرب، للبلادي، ص (١٩ و١١٠).

(٢) المعجم العربي الجديد، ص (٣٥).

سادساً:
إبدال الثاء تاء

بين التاء والثاء قرابة صوتية قوية؛ فيجمعهما الهمس والتقارب الشديد في المخرج، فالثاء أسنانية احتكاكية مهموسة والتاء لثوية أسنانية انفجارية، والضعف في الإسماع مع صوت الثاء سببه الهمس والاحتكاك مما يتطلب زيادة في كمية الهواء وزيادة المجهود العضلي بإخراج طرف اللسان ليكون بين الأسنان، ولعل هذا مما يفسر اللجوء إلىٰ صوت مُقارب (كالتاء) يقوم مقامه في بعض الكلمات.

وفي لهجة ينبع يكثر إبدال الثاء تاء؛ فمن ذلك ما سُمع من قولهم: تلج (ثلج)، تقيل (ثقيل)، توم (ثوم)، توب (ثوب)، بعت (بَعَث)، تَمَن (ثمن)، مشعّت (مشعّث)، تأر (بتحقيق الهمزة= ثأر)، خبيت (خبيث)، تلت (ثلث).

وقد تبيّن لنا بالتتبع أنّ هذا الإبدال ليس مطّردا، فكثير من أهل اللهجة ينطقون مثل الكلمات المتقدمة بالثاء حينا وبالإبدال تاء حينا آخر، وهذه الاختيارية في الإبدال تستدعي إلىٰ الذهن ذلك النقاش الذي أثير حول قول السموأل اليهودي:

ينفع الطيبُ القليل من الرزق ولا ينفعُ الكثير الخبيثُ

فقد «سأل الخليلُ الأصمعيَّ عن (الخَبيت) في هذا البيت، فقال له: أراد (الخَبيث)، وهي لغة خَيْبر، فقال له الخليل: لو كان لغتهم لقال: الكَتير، وإنما كان يَنبغي لك أن تقول: إنهم يَقلبون الثاء تاء في بعض الحُروف»[1] وفي رواية أكثر تفصيلا أنّ الخليل قال «أَسأْت في العِبَارة لأنك أطلقت من لُغته أن يُبدل الثاء تاء فَعمَّمت بالبَدَل، ولو كان ذلك لَلَزِمه أن يَقُول (الكَتير) في (الكَثِير)، وأنت تَرْويه (الكَثِير)، وإنما الجيد أن تقولَ: يُبْدِلُون الثاء تاءً في أحرفٍ منها (الخَبِيث)»[2]. وواضح من هذا النقاش أنّ هذا الإبدال كان في العربيّة الأولىٰ اختياريا كما هو الحال في اللهجة محل الدراسة.

وتنبغي الإشارة إلىٰ أنّ هذه اللغة لم تكن مقصورة علىٰ أهل خيبر، بل كانت كذلك «لغة قريظة والنضير»[3] من سكّان المدينة، وقد أورد الخليل هذا الإبدال مطلقا دون إضافة إلىٰ قوم بأعيانهم؛ قال «والخَبيتُ من الاشياء الحقير الرديء... وهو الخبيث بالثاء أيضا»[4].

وقد وردت أمثلة كثيرة عن العرب وقع فيها التبادل بين الثاء والتاء؛ من ذلك: الحِفت والحفث (كرش البعير)، ومثلهما الفحِت والفحِث، والكُنتَح

(١) المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده (٥/ ١٥٥)، وانظر: اللسان: خبت.

(٢) المخصص، لابن سيده (١/ ٢٩٨).

(٣) المخصص، لابن سيده (١/ ٢٩٨).

(٤) انظر: العين (٤/ ٢٤١).

والكنثح (الأحمق)، وتَعّ وثعّ (قاء)، والتغتغة والثغثغة (ثقل اللسان)، وكتحته الريح وكثحته (سفت عليه التراب)، ووَتَن بالمكان ووثن (أقام)، والخَتلة والخثْلة (أسفل البطن)، ورَتَم أنفَه ورثمه (كسره)[1].

وإبدال الثاء تاء مشهورٌ في اللهجات العربية الحديثة، وهو من أوضح الإبدالات في لهجات مصر والشام، فيقولون: تعلب (ثعلب)، برغوت (برغوث)، حديت (حديث)، تلج (ثلج)، تقيل (ثقيل)، جتة (جثة)، كُرّات (كراث)، توم (ثوم)، توب (ثوب)، التفل (الثفل)، بعت (بَعَث)، تَمَن (ثمن)، تلت (ثلث)، اتنين (اثنين)، تلاتة (ثلاثة)... وقد فقدت معظم اللهجات المصرية صوت الثاء مستبدلة به صوت التاء «وقد اطّرد هذا اطّرادا يدعو إلىٰ الدهشة»[2].

❊ ❊ ❊

(١) انظر: الإبدال، لأبي الطيب (١/ ٩٤) وما بعدها، وإحالات المحقق (د. عز الدين التنوخي) وإضافاته في الهوامش.

(٢) في اللهجات العربية، لإبراهيم أنيس، ص (١٩٥).

سابعاً:
إبدال أحد المثلين المدغمين حرفًا مختلفًا

سُمِعت بعضُ الكلمات في لهجة ينبع فيها تخلُّصٌ من ثقل التضعيف بفكّه إلىٰ حرفين أحدهما أجنبي؛ ومن ذلك قولهم: (أمردغ = أُمَرّغ) – متصربع (متصرّع = متسرّع) – مصنقر (مصقّر= مسكّر)، وقد أُبدل تضعيف الراء في المثال الأول دالا وفي المثال الثاني باءً وأُبدل تضعيف الكاف في المثال الثالث نونا مع تقديم النون علىٰ الكاف.

وهذا التصرّف اللهجي للتخلّص من ثقل التضعيف ليس بدعا فقديما ما كانت العرب تنحو إلىٰ مثل هذا؛ ذلك «أنّ التضعيف يثقل علىٰ ألسنتهم، وأن اختلاف الحروف أخفّ عليهم من أن يكون من موضع واحد»[1]. قال ابن السكّيت «قال أبو عبيدة: العربُ تقلب حروف المضاعف إلىٰ الياء، فيقولون تظنَّيت وإنما هي: تظنّنت، قال العجاج:

تقضّيَ البازي إذا البازي كَسَر

أراد: تقضُّض، فاستثقل ثلاث ضاداتٍ فبدّل إحداهنّ ياء»[2].

(١) الكتاب (٤/ ٤١٧).

(٢) القلب والإبدال (ضمن مجموع الكنز اللغوي الذي نشره أوجست هفنر)، ص (٥٨).

ونَقَل عن أبي عبيدة أيضا قوله في (التصدِية) «و(فعلتُ) منه صددْتُ أصِدُّ، ومنه قوله ﷻ: ﴿ إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ (الزخرف:٥٧) أي يعِجّون، فحوَّل إحدىٰ الدالين ياء في التصدية»، وعن ابن الأعرابي أنه «أنشد:

تـزورُ امـرءا أمـا الإلـهُ فيتّقـي ❊ وأمّـا بفعـل الـصالحين فيـأتمي

أراد: فيأتَمُّ»[1].

وقد أورد ابن السكيت وروىٰ أمثلةً كثيرة لما فُكّ تضعيفُه إلىٰ حرف علّة؛ منها: كعّ وكاع (قرّ) – أَمَلّ وأملىٰ (من الإملاء) – مُحِسٌّ ومُحْسٍ (من أحسّ= شَعَرَ) – ذَمّ وذأم – جَلّ وجلا (رحل) – دَوِّيّة وداويّة (للصحراء) – طَامّة وطامِيَة (للبئر) – طَمَّ وطَمَىٰ (للنهر إذا فاض)[2].

ويفترضُ بعضُ علماء اللغة المحدثين أنَّ المعجم العربي يحوي جذورا كثيرة ناشئة عن فكّ التضعيف إلىٰ حروف غير معتلّة، وذلك وفقا لما يُعرف بقانون «المخالفة» الصوتي، وفي هذا الصدد يفترض هورويتز «أن تكون الكلمات العربية الكبيرة البنية التي تشتمل علىٰ راء أو لام أو نون أو ميم قد تولّدت نتيجة عامل المخالفة بين صوتين متماثلين. وهو يمثل لذلك بالكلمات الآتية: حرجل (حجّل)، وجلمد (جمّد)، وعنكب (عكّب)،

(١) السابق، ص (٥٩).

(٢) انظر: السابق، ص (٦٠- ٦١).

وعرقب (عقّب)، وقرمط (قمّط)، وفلطح (فطّح)»[1].

وعلىٰ الرغم من وجود مثل هذه الافتراضات تظلّ مسائلُ فكِّ التضعيف حينا واستبقائه حينا، وعدم وجود نظامٍ واضح يحكم عملية اختيار الصوت البديل، وعدم اطّراد النظائر – ولو نسبيًّا – في هذا الباب= دليلا علىٰ سمة الارتجال والعشوائية في كثير من الظواهر والتصرفات اللّهجية.

❊ ❊ ❊

(١) دراسة الصوت اللغوي، لأحمد مختار عمر، ص (٣٨٤- ٣٨٥) نقلا عن:

Hurwitz، S.T.H. Root – Determinatives in Semitic Speech، U.S.A.، 1913.

ثامناً:
إبدالات متفرقة

سُمعت نماذج من الإبدال في لهجة «ينبع» لا تنضوي تحت تصنيف واحد؛ ومن الكلمات التي يشملها هذا الوصف:

ابْحِز (ابْتَعِد)

هناك احتمال أن يكون أصل الكلمة (ابخز)، يقال: بخز عينَه وبخسها وبخصها إذا فقأها، والمعنىٰ علىٰ هذا: غُضَّ طرفَك وبالغْ في الإقصار والانكفاء.

وأقربُ منه أن يكون أصلها (ابعَد)، وهو أقرب إلىٰ المعنىٰ اللهجي المذكور؛ إذ من معاني (بعد): ابتعد، وهلك، والعرب تقول في الدعاء: لا تبعَد، يدعون بطول البقاء[1].

وهذا التحول من (بعد) إلىٰ (بحز) مفهومٌ تأسيسا علىٰ التقارب الصوتيّ بين الحاء والعين وبين الزاي والدال؛ أما الزاي والدال فمتقاربان صفةً ومخرجًا، فكلاهما لثوي مجهور مرقق، وقد ورد عن العرب إبدال الدال زايا في نحو قولهم: هو بإدائه وبإزائه (بجواره)، والردغة والرزغة (الأرض

(١) لسان العرب: بعد.

الموحلة)، وامتدع وامتزع (انتزع)، ودَلَخت الإبل وزلخت (سمنت)، وندَغْتُه بكلمةٍ ونزغتُه (أوجعته)، ولكده ولَكَزه (ضربه بجُمْع يده)، والخَدَرنَق والخزرنق (العنكبوت)، والدَّبْر والزبر (الخطّ)[1].

وأما الحاء والعين فكلاهما حلقيّ احتكاكي، ولا يفرق بينهما إلا الجهر في العين والهمس في الحاء، ولهذا التقارب الشديد بينهما قال الخليل «لولا بحّة في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها منها»[2]، وقال ابن جني عن الحاء «... فيها من البحّة التي يجري معها النفَس، وليست كالعين التي تحصر النفْس، وذلك لأنّ الحاء مهموسة ومضارَعة بالحلقية والهمس للهاء الخفيّة وليست فيها نصاعةُ العين ولا جهرها»[3].

وقد ورد إبدال العين حاء في بعض القراءات؛ فقد قرأ ابن مسعود «نَعَم» الجوابية بإبدال العين حاء وحكاه النضر بن شميل عن العرب[4]، وقرأ رضي الله عنه كذلك ﴿ **أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ** ﴾ (العاديات:٩) بالحاء (بُحثر) وقرأها نصر بن عاصم (بَحثر) على البناء للفاعل[5].

---

(١) الإبدال، لأبي الطيب اللغوي (١/ ٣٦٦) وما بعدها، وانظر: اللسان في مواد المفردات المذكورة.

(٢) العين (١/ ٥٧).

(٣) سر صناعة الإعراب (١/ ٢٥٤).

(٤) الجنى الداني في حروف المعاني، للمرادي، ص (٥٠٦).

(٥) البحر المحيط، لأبي حيان (١٠/ ٥٣٠).

وورد هذا الإبدال في عرض كلام العرب كثيرا؛ «ومما قالت العرب تصديقاً لهذا في الإدغام قول بني تميم: محُّم، يريدون: معهم، ومحّاولاء، يريدون: مع هؤلاء»[1] ومما حفِظته المعاجم من ذلك قولهم: نزل بحَراه وعَراه (في كَنَفه)، وضَبَحت الخيلُ وضبعت (عَدَت)، وحَدَس في الأرض وعدس (ذهب)، والحَكَدة والعكدة (أصل اللسان)، ودَحّ ودعّ (دفع)، والرَصَح والرصع (صغر الأليتين)، والحِرْج والعرج (الإبل الكثيرة)، وكَشَح القوم وكشغوا (تفرّقوا)، وحَشَك الشيء وعشكه (جمعه)، وجَعْفَله وجحفله (صرَعَه)، وسيلٌ قُحافٌ وقعاف (جارف)[2].

الهيعة (الهيئة)

العين صوت حلقي احتكاكي مجهور، يقترب في نطقه لسان المزمار اقترابا شديدا من الجدار الخلفي للحلق، أما الهمزة فصوت حنجري انفجاري؛ حيث إن مخرجه من الوترين الصوتيين فلا يوصف بجهر أو همس، وقد عدهما سيبويه من أقصىٰ الحلق[3].

وقلبُ الهمزة عينا لم يردْ عن العرب في مفرداتٍ محدودة، بل هو لغةٌ

(١) الكتاب (٤/ ٤٥٠).

(٢) الإبدال، لأبي الطيب اللغوي (١/ ٢٩٢) وما بعدها، وانظر: اللسان في موادّ المفردات المذكورة.

(٣) الكتاب (٤/ ٤٣٣).

قديمة مشهورة تُعرف بالعنعنة، وتُعزىٰ إلىٰ تميم وغيرها؛ قال ابن منظور «وعَنْعَنةُ تميم إبدالُهم العين من الهمزة كقولهم عَنْ يريدون أَنْ»، وذكر أبياتا شواهدَ ورواياتٍ حديثية، ثم قال «وقال الفراء... وتميمٌ وقَيْس وأَسَدٌ ومن جاورهم يجعلون أَلف (أَنْ) إذا كانت مفتوحة عينًا يقولون أَشهد عَنَّك رسول الله...، قال ابنُ الأَثير كأَنَّهم يفعلون لبَحَحٍ في أَصواتهم»[1].

وليست هذه الظاهرة «العنعنة» خاصةً بأَنْ، بل نصّ العلماء عليها في غير هذا الموضع؛ «قال الكِسائِيُّ: يُقال كانَ ذلك مِنّا عُنْفَةً بالضَّمِّ وعُنُفَةً بضَمَّتَيْنِ واعْتِنافا: أَي ائْتِنافا قُلِبَت الهمزةُ عيْنًا وهذه هي عَنْعَنَةُ بني تَمِيم... قالَ اللَّيْثُ: وبعضُ بَنِي تَمِيم يَقول اعْتَنَفَ الأَمْرَ بمعْنَىٰ ائْتَنَفَهُ وهذِهِ هي العَنْعَنةُ»[2]، «وَيُقَال: كَعَصْنا عِنْد فلَان مَا شِئْنَا وكَأَصْنا، أَي أكلنَا. قَالَ أَبُو حَاتِم: هِيَ همزَة قُلبت عينا لِأَن بني تَمِيم وَمن يليهم يحققون الْهمزَة حَتَّىٰ تصير عينا، وَذَلِكَ قَوْلهم: عَنّي، فِي معنىٰ أنّي... وَتقول بَنو تَمِيم: هَذَا خِباعنا، يُرِيدُونَ: خباؤنا»[3].

فُرم (فُرن)

النون والميم صوتان أنفيان مجهوران، غير أن الميم لثوية والميم شفوية.

(١) انظر: اللسان: عنن.

(٢) تاج العروس: عنف.

(٣) جمهرة اللغة، لابن دريد (٢/ ٨٨٦).

والتبادل بين النون والميم ظاهرة شائعة في المعجم العربي الفصيح؛ من ذلك قولهم: أيم وأين (للحية)، والغيم والغين (للسحاب)، وماءٌ آجنٌ وآجم (متغيّر)، والحُلّان والحلام (للجدي الصغير)، وامتُقِع لونُه وانتُقع (تغيَّر)، والمدىٰ والندىٰ (الغاية)، والحَزْم والحزن (للأرض الغليظة)، وأسودُ قاتم وقاتن (شديد السواد)، وحنظل وحمظل (للنبات المعروف)[1].

وينبغي هاهنا أن نلاحظ وجود مواقع متعددة يطّرد فيها قلب النون ميما؛ كما إذا وقعت النون ساكنةً وبعدها باء (مثل: مِنْ بعد) أو ميم (مثل: مِنْ ما)، وهما الظاهرتان المعروفتان في علم تجويد القرآن بالإقلاب والإدغام.

❊❊❊

(١) انظر: القلب والإبدال، لابن السكيت (ضمن مجموع الكنز اللغوي الذي نشره أوجست هفنر)، ص (١٧) وما بعدها، والإبدال والمعاقبة والنظائر، للزجاجي، ص (٩٩) وما بعدها، والإبدال، لأبي الطيب اللغوي (٢/ ٤٢٣) وما بعدها.

نتائج الدراسة

انتهت بنا هذه التَطوافة مع لهجة منطقة «ينبع» إلىٰ جملة من النتائج؛ أهمُّها وأعمُّها:

• أن التصرّف اللهجي لا يتبع قاعدة «طلب الأخفّ» دائما، بل ربما نشأ عنه إعناتٌ وتثقيل – كطرد تفخيم الألف وقلب السين صادا –، وهذا يدلّ علىٰ أنّ تكوّن اللهجات مرتبط بعوامل كثيرة مركبة ومعقدة منها اللغوي وغير اللغوي.

• أنّ التنوّعات اللهجية المختلفة لا تنفكّ تنزع إلىٰ أصول عربية معتبرة، ولا تكاد تجد ظاهرة لهجيّة غريبة بصورة كاملة عن أصل اللغة.

• أنّ التطور اللغوي التاريخي في حركيّة وحيوية دائمة، بحيث تجد كثيرا من السمات والظواهر اللغوية لا تكاد تختفي أو تندثر في مرحلة زمنية أو منطقة ما = حتىٰ تعاود الظهور والانبعاث في ظروف وسياقات زمانية ومكانية أخرىٰ، وهذه الحركة الدءوبُ مستمرة باستمرار اللغة نفسها وحيّة بحياة مستعمليها.

❊ ❊ ❊

قائمة المصادر والمراجع

(١) **الإبدال والمعاقبة والنظائر.** الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق. تحقيق: عز الدين التنوخي. د.ط، دمشق: مطبوعات المجمع العلمي العربي، ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م.

(٢) **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر.** الدمياطيّ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني، الشهير بالبناء. تحقيق: أنس مهرة. ط٣، لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

(٣) **الأصوات اللغوية.** أنيس، د. إبراهيم. د.ط، القاهرة: مطبعة نهضة مصر، د.ت.

(٤) **البحر المحيط في التفسير.** أبو حيان، أثير الدين محمد بن يوسف الأندلسي. تحقيق: صدقي محمد جميل. د.ط، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ.

(٥) **بلاد ينبع لمحات تاريخية وجغرافية وانطباعات خاصة.** الجاسر، الشيخ حمد. ط١، الرياض: دار اليمامة، ١٣٨٥هـ.

(٦) **تاج العروس من جواهر القاموس.** مرتضىٰ الزَّبيدي، أبو الفيض محمّد بن محمّد بن عبدالرزّاق الحسيني. تحقيق: مجموعة من المحققين. د.ط، د.م: دار الهداية. د.ت.

(٧) **تحبير التيسير في القراءات العشر.** ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف. تحقيق: د. أحمد محمد مفلح القضاة. ط١، عمّان: دار الفرقان، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

(٨) **التمهيد في علم التجويد.** ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف. تحقيق: د. علي حسين البواب، ط١، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(٩) **التيسير في القراءات السبع.** الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد. تحقيق: أوتو تريزل، ط٢، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

(١٠) **جمهرة اللغة.** ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي. تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط١، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م.

(١١) **الجنى الداني في حروف المعاني.** المرادي، بدر الدين الحسن بن قاسم. تحقيق: د. فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

(١٢) **جيش التوشيح.** ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد. تحقيق: هلال ناجي وزميله، د.ط، تونس: مطبعة المنار. د.ت.

(١٣) **الحجة في القراءات السبع.** ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين بن أحمد. تحقيق: عبد العال سالم مكرم، ط٤، بيروت: دار الشروق، ١٤٠١هـ.

(١٤) **دراسة الصوت اللغوي.** عمر، د. أحمد مختار. د.ط، القاهرة: عالم الكتب، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(١٥) **ديوان الموشحات الفاطمية والأيوبية.** عطا، د. أحمد محمد. ط١، القاهرة: مكتبة الآداب، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(١٦) **ديوان الموشحات المملوكية في مصر والشام.** عطا، د. أحمد محمد. ط١، القاهرة: مكتبة الآداب، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

(١٧) **السبعة في القراءات.** ابن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسىٰ بن مجاهد التميمي البغدادي. تحقيق: شوقي ضيف، ط٢، مصر: دار المعارف، ١٤٠٠هـ.

(١٨) **سر صناعة الإعراب.** ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي. تحقيق: أحمد رشدي، ومحمد فارس، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

(١٩) **شرح التصريح علىٰ التوضيح (التصريح بمضمون التوضيح في النحو).** الأزهري، زين الدين خالد بن عبد الله الجرجاويّ المصري. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

(٢٠) **الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية).** الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. ط٤، بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

(٢١) **ضرائر الشِّعْر.** ابن عصفور، أبو الحسن علي بن مؤمن الحَضْرَمي الإشبيلي. ط١، تحقيق: السيد إبراهيم محمد. د.ط، د.م: دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٠م.

(٢٢) **علم الأصوات.** بشر، د. كمال محمد. د.ط، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م.

(٢٣) **غيث النفع في القراءات السبع.** الصفاقسي، أبو الحسن علي بن محمد النوري المقرئ المالكي. تحقيق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

(٢٤) **في اللهجات العربية.** أنيس، د. إبراهيم. د.ط، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٣م.

(٢٥) **القلب والإبدال (ضمن مجموع الكنز اللغوي في اللِّسَن العربي الذي نشره أوجست هفنر).** ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق. د.ط، بيروت: المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، ١٩٠٣م.

(٢٦) **الكتاب.** سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان. تحقيق: عبد السلام هارون، ط٣، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٢٧) **كتاب الإبدال.** أبو الطيب، عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي. تحقيق: عز الدين التنوخي، د.ط، دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م.

(٢٨) **كتاب العين.** الخليل، أبو عبد الرحمن بن أحمد بن عمرو الفراهيدي البصري. تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي. د.ط، بيروت: دار ومكتبة الهلال، د.ت.

(٢٩) **كتابٌ فيه لغات القرآن.** الفراء، أبو زكريا يحيىٰ بن زياد الديلمي. ضبطه وصححه: جابر بن عبد الله السريع. طبعة المحقِّق، د.م: د.ن، ١٤٣٥هـ.

(٣٠) **لسان العرب.** ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقىٰ المصري. ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ.

(٣١) **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها.** ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي. د.ط، مصر: وزارة الأوقاف-المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٣٢) **المحكم والمحيط الأعظم.** ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسيّ. تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

(٣٣) **المخصص.** ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسيّ. تحقيق: خليل إبراهيم جفال، د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

(٣٤) **معجم ديوان الأدب.** الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين. تحقيق: د. أحمد مختار عمر. مراجعة: د. إبراهيم أنيس. د.ط، القاهرة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

(٣٥) **المعجم العربي الجديد المقدمة.** العلوي، هادي. ط١. سوريا- اللاذقية: دار الحوار للنشر والتوزيع. ١٩٨٣م.

(٣٦) **المقتَضب.** المبرِّد، أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي. تحقيق: محمد عبدالخالق عضيمة. د.ط، بيروت: عالم الكتب. د.ت.

(٣٧) **الممتع الكبير في التصريف.** ابن عصفور، أبو الحسن علي بن مؤمن الحَضْرَمي الإشبيلي. تحقيق: فخر الدين قباوة. ط١، لبنان: مكتبة لبنان، ١٩٩٦م.

(٣٨) **مناهج البحث في اللغة.** حسان، د. تمام. د.ط، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية. د.ت.

(٣٩) **نسب حرب (قبيلة حرب: أنسابها، فروعها، تاريخها وديارها).** البلادي، عاتق بن غيث. ط٣، مكة المكرمة: دار مكة للنشر والتوزيع، ١٤٠٤هـ -١٩٨٤م.

(٤٠) **النشر في القراءات العشر.** ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف. تحقيق: علي محمد الضباع، د.ط، القاهرة: المطبعة التجارية الكبرى، د.ت.

(٤١) **نهاية القول المفيد في علم التجويد.** الجريسي، محمد مكي نصر. ط١، القاهرة: مكتبة الصفا، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٤٢) **هداية القاري إلىٰ تجويد كلام الباري**. المرصفي، عبد الفتاح بن السيد عجمي المصري الشافعي. ط٢، المدينة المنورة: مكتبة طيبة، د.ت.

* * *